خميس العهد والعروس المتهللة

عند القدّيس مار يعقوب السروجي وبعض الآباء الأولين

اعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس - سبورتنج

خميس العهد

والعروس المتهللة

عند

القدِّيس مار يعقوب السروجي

وبعض الآباء الأولين

٢٠٢١

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

الشماس بيشوي بشرى فايز

كنيسة الشهيد مار جرجس – سبورتنج

Queen St. Mary & Prince Tadros

Coptic Orthodox Church

283 DAVIDSONS MILL ROAD

SOUTH BRUNSWICK, NJ 08831

المؤمن والاحتفال بخميس العهد

يقدم لنا آباء الكنيسة الأولى خبرتهم العملية الإنجيلية خلال شركتنا في سرّ الإفخارستيا، أي شركتنا معًا في بالقداس الإلهي، الذي قام المخلص بتأسيسه في خميس العهد.

يكشف لنا **القديس مار يعقوب السروجي** عن عظمة عيد خميس العهد، مقارنًا بين الإنسان المرتبك بهموم العالم والمؤمن المتهلل بحب الله الفائق له أثناء شركته في القداس الإلهي.

١. الإنسان المشغول بالأمور الزمنية يخسر سلامه الداخلي، ويسقط تحت ثقل التذمر حتى على الله. أما المؤمن الذي تنطلق نفسه كما إلى علية صهيون في خميس العهد، فيرى العريس السماوي محب البشر. تتهلل نفسه بالحب الإلهي العجيب الذي يقيم من المؤمنين العروس السماوية.

٢. في وسط ارتباكات الحياة اليومية يتسلل عدو الخير ليخدع الإنسان كما سبق أن خدع حواء وهي في جنة عدن، ويسلب منه الحرية الحقيقية ويستعبده للشهوات ويبث فيه روح القلق. أما المؤمن الحقيقي فتتحول حياته إلى تسبحة لا تتوقف للمخلص الذي يقدم له جسده ودمه ويشفيه من جراحات إبليس والخطية. ويهبه سلطانًا أن يدوس على كل قوات الظلمة.

٣. يعاني الإنسان في العالم من الجوع والعطش، فلن تستطيع الإمكانيات الزمنية أن تشبعه وترويه. كلما نال من ملذات زمنية ومقتنيات وكرامات يشعر بالنقص بالنسبة للآخرين. لو أعطيت له كل الأرض يحسب نفسه محرومًا من أمورٍ كثيرة. أما المؤمن الحقيقي إذ يرى مخلصه يقدم له جسده ودمه المبذولين من أجل خلاصه، فيصير أشبه بقيثارة يعزف عليها روح الله القدوس تسبحة الحمد والشكر، فتشبع نفسه بالحب الإلهي.

٤. في العالم يشعر الإنسان بالحسد والغيرة من الآخرين، حتى وإن كان غنيًا وفي مركزٍ اجتماعيٍ عظيمٍ وبصحةٍ جيدةٍ، أما المشترك في القداس الإلهي بالروح والذهن فيتسع قلبه جدًا، مشتهيًا أن تتمتع البشرية كلها بما يتمتع به هو. يشعر أن سعادته تكمن في انطلاق الكل أمامه ليبقى في آخر صفٍ مثل سيده الذي أُحصي مع أثمة وهو القدوس واهب القداسة.

٥. في القداس الإلهي إذ يتحول المذبح إلى جبل الجلجثة، يرى المؤمن المُخلِّص المطعون في جنبه يفيض دمه كأنهار تروي المؤمنين أفضل من أنهار جنة عدن، وتتحول قلوبهم إلى فردوسٍ روحي.

٦. يعاني الإنسان حتى الناجح في حياته من القلق والخوف من الغد المجهول، أما المشترك في سرَّ الإفخارستيا، فيتمتع بعربون السماء، ويشعر أنه متكئ في ميناء الراحة الأبدية.

٧. في سرّ الإفخارستيا، يتمتع المؤمن بالمُخلِّص طبيب النفوس والأجساد المُضمِّد للجراحات الخفية والظاهرة.

٨. يهبنا سرّ الإفخارستيا روح النبوة، لا بالتنبؤ علن الأوقات والأزمنة، وإنما بتمتعنا بعربون السماء والتلامس مع الحياة الأبدية.

٩. في سرّ الإفخارستيا نتناول جسد كلمة الله ودمه فيلتهب قلبنا شوقًا للتمتع بكلمة الله في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والتعرف على الأسرار الإلهية.

١٠. من يركز بصيرته الداخلية على إمكانيات سرّ الإفخارستيا، تتحول صلواته إلى حوار ممتع مع المخلص المُحب للبشرية، الرحيم، طالبًا بلجاجة بركات الرب بلا توقف.

١١. من يختبر عذوبة سرّ الإفخارستيا لا يملّ من الوقوف في حضرة الرب، ولا يتوقف لسانه وقلبه وذهنه عن التسبيح.

١٢. في هذا السرّ العظيم يتلامس المؤمن مع الإنجيليين والرسل والكارزين بكونهم أنهار جنة عدن الجديدة.

١٣. في هذا السرّ نتمتع بثمار شجرة الحياة التي لم يهتم أبوانا الأولان آدم وحواء بها، إنما قطفت حواء من ثمار شجر معرفة الخير والشر، التي بدت لها شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها ايضًا معها فأكل (تك ٣: ٦)، فكسرا الوصية الإلهية، وتغرَّبا عن الرب.

١٤. في سرّ الإفخارستيا تنطلق نفوسنا إلى جبل الجلجثة، لنصرخ مع اللص اليمين: "أذكرنا يا رب متى جئتَ في ملكوتك."

١٥. في هذا السرّ العجيب يُحفظ المؤمن من رياح العالم الشريرة، وينضم إلى صفوف السمائيين الذين يُصلُّون ويُسبِّحون القدوس بلا توقف.

١٦. تدعو الكنيسة الموعوظين بالخروج حتى يتأهلوا للعماد وفي نفس الوقت تطلب من المؤمنين التبكير في حضور القداس الإلهي وتحذرهم من الخروج من القداس الإلهي بروح الرخاوة والاستهتار.

بركات سرّ الإفخارستيا

١. تهليل الحكماء بالمعرفة الإلهية التي يختبرونها في سرّ الإفخارستيا.

يربط **القديس مار يعقوب السروجي** سرّ الإفخارستيا بالتعليم المستمر والنمو في المعرفة الروحية الدسمة والبنّاءة، قائلاً:

[أيها الحكماء هلموا نبتهج اليوم من التعليم، لأن طعمه أحلى من شهد العسل.
هلموا يا أعزائي واسمنوا من المائدة المملوءة حياة، لأنه لا فساد في أطعمتها لمن يستحقها.]

٢. دعوة البشرية إلى وليمة العُرس في سرّ الإفخارستيا

الشركة في سرّ الإفخارستيا تدخل بالمؤمنين، كهنة وشعبًا إلى وليمة العُرس السماوي. يصور لنا **القديس مار يعقوب السروجي** وليمة العُرس هذه، بالشبع الحقيقي والحب السماوي. تدعو الكنيسة عروس الملك كل الأمم لتُسعِد البشرية بالحياة الأبدية. إنه يقول:

[هلموا أيها الأعزاء واتكئوا في الوليمة الروحية، لأن المحبة دعتكم إلى طاقاتها الإلهية.
كلمة الحياة تدعوكم اليوم إلى مائدتها؛ من كان جائعًا لا يتكاسل من المجيء إليها.
عروس الملك صنعت عُرسًا لأبناء أسرارها، وتريد اليوم أن تفرح معهم كثيرًا.
بمحبتها فتحت أبوابها السامية بالحب لكل الداخلين، ليتكئوا معها على مائدة العريس الملك.
خرجت إلى طرقات العالم، لتجمع كل الأمم وتُسعِدهم بأعمالها.
قامت في رؤوس طرقها وزوايا الأرض لتدعو عروس الملك للمحافل والجموع إلى وليمتها.
تتناول جسد العريس، وتضعه على المائدة، ومنه تتناول الشعوب ولا ينفذ.
لمست جنبه وجسّته، وأمسكت ينبوعًا، ومنه ترضع الحياة كل يومٍ هي وأصحابها.]

٣. تمتع العروس بالينبوع الفائض من جنب المُخلّص المصلوب.

هذا الينبوع الفائض ليس من الأرض كسائر الينابيع، إنما من جنب المُخلّص القدوس. إنه صادر من العلي الذي يقيم الموتى ويهبهم الحياة. يقارن **القديس مار يعقوب السروجي** بين ينبوع المياه الذي صدر من الصخرة التي ضربها موسى النبي بالعصا في البرية (خر ١٧:٦؛ عد ٢٠: ١١) حيث صدر الماء من تحت الأرض إلى فوق ليشرب الشعب، والدم والماء الصادرين من جنب المخلص العلي للبشر (يو ١٩: ٣٤):

[البئر الجديدة التي فتحها الرمح على الجلجثة فاضت بكثرة، ومنها شبعت كل الأرض.
نقروها بالمسامير، وحفروها بالآلام، وفتحوها بالرمح، ومنها انطلقت أنهار الحياة وخرجت بقوةٍ.
البئر في العلو، تتدفق منها جداولها إلى الأرض، لتنزل وتسقي بلد الموتى، وتنبت الحياة.

البئر التي حفرها موسى في القفر لبني شعبه، صعدت من العمق إلى العلو لتسقيهم...
ابنة الأراميين لا تصرخ هنا: اصعدي أيتها البئر، لأن البئر في العلو واندفع ينبوعها لكي ينزل.
وبما أنه جماعة الإلهيين في السماء يصرخون: انزلي أيتها البئر السماوية، واسقى الأرض.
مدّوه في العلو (على الصليب) وفتحوا جنبه على الجلجثة، ومن قمة الأكمة فاضت (البئر) ونزلت على الأراضي.
اندفع في عمق الموتى ليسقيهم، ولولاه لما شرب الموتى أبدًا.
نزل الينبوع من قمة أكمة الصلب وصنع بِرَك (مياه) بين العطاش الذين كانوا محرومين.
أتى مصدر الحياة من قمة أعالي العلو، وملأ منه عمق الأعماق حياة جديدة.]

٤. الكنيسة ميناء الراحة، فيها يستريح البشر.

كل البشرية مهما كانت إمكانياتهم ومراكزهم الاجتماعية وقدراتهم العسكرية يئنون لأن القلق يساورهم والموت يهاجم الجميع، أما الكنيسة في العالم ميناء عظيم مملوء سلامًا، إذ تقدم مائدة سرّ الإفخارستيا وكل من يتعب يستريح على مائدتها. يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[أيها العطاش الذين شاخوا وسقطوا وفسدوا في موضع الجفاف، اشربوا وارتووا، وانسوا الآن أتعابكم.
الكنيسة في العالم ميناء عظيم مملوء سلامًا، كل من يتعب فليأتي ويستريح على مائدتها.
أبوابها مفتوحة، وعينها صالحة، وقلبها متسع، ومائدتها زاخرة؛ وشرابها الممزوج حلو لمن يستحقه.
يا محبي العالم ادخلوا من تيه العالم الشرير، واستريحوا في مسكنٍ مملوءٍ حنوًّا للداخل فيه.
أيها العامل المُتعَب الذي يريد أن يغتني بالمتاعب، لماذا تركض وراء غنى لا يدوم؟
أيها الغني الذي ضلّ بسبب غناه، اقتنِ الله، وأبغض الغنى الذي سيصبح بعد قليل ليس ملكك!
يا من نفسه مطرودة تجري وراء الذهب، الويل لك منه، لأنه سيحطمك.
يا من يطمع في المال، انتبه، والقِ عنك الثقل العظيم الذي لا ينفعك.
المال يقدم المشنقة لمن يحبه، فلا تتهافت على محبته المملوءة بالمضرات.
أيها المهموم، لقد قتلك القلق بمتطلباته، إنه شر عظيم، فالقِه عن عنقك وتحرر منه.
القلق قيد عظيم للنفس، وهي مخنوقة به، ومن يسقط فيه يجد التعاسة والحياة الشقية.
هلم يا من تجري وراء العالم الذي عذَّبك كثيرًا، تعال، واسترح هنا في مقصورة النور في كل البركات، فيها الحياة وفيها كل النعم وكل ما هو مُبهج.]

٥. هلم إلى الكنيسة المستشفى السماوي

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** في سرّ الإفخارستيا أن الكنيسة تتحول إلى مستشفى تستقبل الذين حطمهم القلق وقتلتهم الشهوات والخطايا، ليستردوا رجاءهم الحي، والانطلاق من مجدٍ إلى مجدٍ،

والتمتع بالحياة الأبدية عوض الموت. إنه يقول:

[عادة لا يذهب أحد إلى عيادة الطبيب، إنما الجرح هو الذي يحثه على الذهاب إلى جَرَّاحٍ.

إن وُجد جرح في نفسك، فهذا الجرح يجذبك لتأتي، وتتوسل لأجل ذنوبك.

ليُحركك المرض أن تأتي بسب الألم، وتكشف عن جرحك للطبيب الذي يعالجك ويهبك العافية بلا أجرة!

هلم وشاهد جروح الإثم وهي تُضمَد، وقروح جميع الخطاة وهي تُعالَج.]

٦. الجنب المطعون وينابيع النبوة

يرى **القديس يعقوب السروجي** في الدم المقدس الذي فاض من جنب السيد المسيح المصلوب ينابيع مياه حيّة تروي النفس الظمآنة إلى التمتع بالنبوة الخاصة بقوة الحياة الأبدية التي حُرمنا منها بسبب خطايانا. إنه يقول:

[هلمَّ شاهد جداول أنهار المياه الحيَّة، التي تفيض من مصدر النبوَّة.

القطيع الناطق كله مستقر في مروج القوة، فقد صار ابن الله راعيًا يقوده.

يشرب القطيع ويرتوي من مياه الحياة في موضع سامٍ (على الصليب)، من الينبوع الذي فتحته الحربة على الجلجثة، فأفاض دمًا وماءً (يو ١٩: ٣٤).]

٧. سرّ الإفخارستيا مروج القوة!

إن كان السيد المسيح بحبه الفائق وتواضعه، قدم لنا الخلاص بالصلب، فمات لكي يقيمنا من الموت، وطُعن بالحربة في جنبه، فأفاض دمًا وماءً كي نختبر قوة الخلاص، ونتمتع بانطلاقنا إلى الأبدية وتناولنا من جسده ودمه المبذولين، فمن جانبنا نلتزم بالآتي:

نمارس الصلاة والحوار معه، لا بألسنتنا وحدها، بل وبكل كياننا. تشترك أعماقنا الداخلية مع أعضاء جسدنا في اللقاء معه، فلا ننشغل بالزمنيات ونحن نناجي السماوي. ولا نسمح لعقولنا أيضًا أن تنطلق نحو الأسواق وترتبك بأمورها، فننشغل عن إكليلنا الذي يقدمه لنا مخلصنا المصلوب عنّا. ولا ينشغل فكرنا في مكاسب مادية، فيمارس جسدنا الصلاة بينما ترتبك أذهاننا وأرواحنا بمكاسبٍ مادية عوض طلب الرحمة لمغفرة الخطايا والانضمام مع السمائيين المسبّحين لله على الدوام بلجاجة. لترتفع قلوبنا إلى الجالس على العرش والقادم على السحاب ليضمنا إلى المجد الأبدي. يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[الكتب الإلهية هي مروج القوة، فابتهج أيها النشيط وتلذذ وأسمن وعِش حسنًا...

هلم إلى الصلاة، وتعال بكُليَّتك معه، ولا تترك عقلك في السوق مرتبكًا (بالزمنيات).

إن كنت أنت هنا (أمام المصلوب)، فليكن إنسانك الداخلي أيضًا داخل الباب المكلّل (الفردوس).

لماذا يخرج فكرك ويطيش، فإنك وأنت بجسدك هنا، (بفكرك) لست هنا، إذ أنت مشغول بأمر آخر. لا يكن نصفك (أي جسدك) حاضرًا في الداخل، ونصفك الآخر (أي عقلك) في الخارج. اجذبه ليدخل ويفتش عن حياته (الأبدية). قم للصلاة، اجمع يا إنسان أفكارك باستحقاقٍ وصدقٍ، فكل ما تسأله تناله من الله.]

لماذا يُعتبر سرّ الإفخارستيا عصب العبادة المسيحية؟

في سرّ الإفخارستيّا يُقدّم لنا الروح القدس جسد الرب المصلوب القائم من الأموات ودمه الكريم، لكي نثبت فيه وهو فينا. به يصير لنا حق الدخول إلى العرش الإلهي، حاملين برّ المسيح، كأعضاء في جسده. يقول السيد المسيح: "**لأن جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه... فمن يأكلني فهو يحيا بي**" (يو ٦: ٥٥-٥٧).

في الذبيحة المقدسة تختفي الكنيسة، فتظهر حاملة قداسة المسيح وبرَّه. تصير عروسًا بلا عيب (نش ٤: ٧) للعريس القدوس.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [بهذه العطية تتزين نفوسنا وتتجمَّل[1].]

ويقول [به تتطهَّر النفس وتتجمَّل وتلتهب[2].]

كما يقول: [هذه المائدة هي عضد نفوسنا، ورباط ذهننا، وأساس رجائنا، وخلاصنا ونورنا وحياتنا... عندما ترى المائدة مُعدَّة قدامك، قل لنفسك: من أجل جسده لا أعود أكون ترابًا ورمادًا، ولا أكون سجينًا بل حرًا. من أجل هذا الجسد أترجَّى السماء وأتقبَّل الخيرات السماوية والحياة الخالدة، ويكون لي نصيب الملائكة وأناجي المسيح[3].]

[هذا الينبوع هو نور يبعث أشعة الحق، تقف بجواره القوات السمائية في الأعالي، تتطلَّع إلى جمال مجاريه... من يشترك في هذا الدم يقف مع الملائكة ورؤساء الملائكة والقوات العلوية، ملتحفًا بثوب المسيح الملوكي، له أسلحة الروح، لا بل يلتحف بالملك نفسه[4].]

---

[1] *In Mat, hom 50: 3.*
[2] *In Joan, hom 46: 6.*
[3] *In 1 Cor, hom 24.*
[4] *In Joan, hom 46: 3.*

الكنيسة بيت كلمة الله تُقام فيها التسابيح والصلوات

في معالجة تمتعنا بسرّ الإفخارستيا التي تُقام في الكنيسة كعروس سماوية لمخلص العالم، وتحولها إلى جنة عدن الجديدة التي تحفظ المؤمن من تسلل الحيَّة إلى قلب المؤمن، عالج **القديس مار يعقوب السروجي** موضوع العبادة الروحية من جوانب كثيرة، منها الآتي:

أولاً: الربط بين جوانب العبادة بعضها ببعض

يليق بأذاننا أن تميل في بيت الربّ لسماع كلمة الربّ، وتُفتح قلوبنا للتسبيح. لنسمع كلمات الأنبياء، ونتمتع بما ورد في العهدين، القديم والجديد. يقول **مار يعقوب السروجي:**

[اطل أناتك واسمع **لحن المزامير** التي ضربها أصبع النبوة بكلمات داود.

انصت إلى **التسابيح من العفيفات**[1] بألحان المجد التي أعطتها حكمة العليّ للكنائس.

اسمع **الأنبياء** الذين من أفواههم يسكبون الحياة في آذان الناس كسواقي الذهب المختار.

اصغ إلى **الرسل** الذين من أفواههم يسقون جنة الملك بجداول سامية مثل فيض الأنهار.

اسمع **(العهد الجديد)**، واصغِ إلى **(العهد القديم)**، وتيقن من أنه في كليهما تُقال لنا حقيقة واحدة.

احن أذنك إلى منبر اللاهوت واقبل منه اللآلئ الثمينة.**]**

ثانيًا: إدراك أننا في جنة عدن الجديدة

كثيرًا ما يردد البعض: "لو كنا في أيام آدم وحواء لكنا سعداء". يدعونا القديس مار يعقوب السروجي أن ندرك البركات العجيبة التي ننعم بها الآن. فإن كانت جنة عدن تسقيها أربعة أنهار، فنحن نتمتع بالإنجيليين الأربعة والرسل الذين يروونا بمياه الروح القدس. وإن كانت جنة عدن بداخلها شجرة الحياة بثمارها الشهية، فمسيحنا رب المجد حاضر في فكرنا يهبنا الحياة الأبدية. في جنة عدن لُدغ آدم وحواء، وها هو الطبيب السماوي يقدم لنا الشفاء. رب المجد يُقدم لنا خدمة مملوءة أسرارًا سماوية، تُحسب دواءً للنفس.

تقدم لنا الكنيسة مسيحنا طبيب النفوس، لنستنير عوض ظلمة الموت التي كانت تهددنا والشهوات التي كانت تدنسنا. أما العالم فيقدم لنا رياحًا مؤلمة. تارة نسمع رثاء النادبات التي تفيض بالدموع والألم، وتارة نسمع غناء المسارح التي تقدم بهجة مؤقتة.

---

[1] يميل السوريين إلى وجود فرق للفتيات والسيدات يسبحن الله في القداس الإلهي والاجتماعات، وقد مدح القديس مار يعقوب السروجي معلمه القديس مار أفرآم السرياني وكتب ميمرًا يمتدحه فيه على اهتمامه بهذا الأمر.

ثالثًا: العبادة الكنسية غايتها الاستعداد للقاء مع المسيح القادم على السحاب

يتحدث مار يعقوب السروجي عن الكنيسة، فيقول:

[ينزل العريس ليرى العروس المخطوبة له. امكثي أيتها النفس في خدر العُرس ليراكِ العريس فيه.

لا تخرجي من خدر العريس الملك الذي ينزل ليراكِ، وهو حامل الغنى من بيت أبيه!

يرسل الآب ابنه ويحوّل القربان؛ وينزل الروح القدس بقوته في الخبز والخمر ويقدسهما ويجعلهما جسدًا ودمًا.]

رابعًا: انتظار مجيء الربّ على السحاب لا في رخاوة بل ونحن في يقظه

يدعونا **القديس مار يعقوب السروجي** أن نركز كل كياننا في المسيح المصلوب بجنبه المجروح، واهبًا لنا جسده ودمه المبذولين عنا. والآن يدعونا إلى **الشعور الدائم بالحضرة الإلهية** فلا نصلي برخاوة كواجبٍ نلتزم به، وإنما نشعر بالتهليل من أجل التمتع الدائم بالحضرة الإلهية. من يقدم العبادة كواجبٍ يلتزم به في شكلياتٍ بلا روح، يُسرع بترك الرب، وينشغل بزمنيات تافهة تجلب القلق. فوجئ **القديس يوحنا كاسيان** في زيارته للأديرة القبطية أن يرى الرهبان عندما يمارسون الصلاة والتسبيح يكونون في يقظة متهللين. وإذا تحدَّث أحد في أمورٍ زمنية يشعرن بالسأم وعدم اليقظة.

لهذا يليق بنا أن نتمتع بالحضرة الإلهية بلا مللٍ. **يقول القديس مار يعقوب السروجي:**

[لماذا تسرع لتنتقل (من الصلاة) إلى الهموم؟

ولماذا أنت مضطرب لتخرج وتذهب إلى أمور (تافهة)؟

لماذا تركض وراء العالم الذي لا يثبت؟ لماذا صرفتَ أيامك في البطالة؟

لماذا تحسب أوقات الكنيسة بطَّالة؟ لماذا لا تحسب "الخدمة" كوليمةٍ؟

لماذا تكون نشيطًا عندما تنفذ مهامك، وهنا أنت مندهش وبارد وبطَّال من الطلب؟

أنت مستنير في العالم المملوء موتًا، وها أنت مظلم في الموضع المملوء نورًا وحياة.

في العالم أنت مستيقظ، وفي بيت الله أنت نائم. إنه موضع المستيقظين، فلا ينم فيه بنو النور.

استيقظ أيها الرجل وأيقظ ذاتك للطلب، ولا تمل عندما يساعدونك لتنال الحياة.

أدخلتك المراحم إلى هذا البيت المملوء فوائد، فلو تأخرت فيه لا تحسب ذلك بطالةً.]

خامسًا: طلب مراحم الله في الصلاة

يدعونا **القديس مار يعقوب السروجي** أن نطيل المكوث في الحضرة الإلهية ونُصلّي حتى ننال مراحم الله، إذ يقول:

[إن أردت أن تطلب المراحم من الله، لماذا تسرع وتنتقل، قبل أن يعطك بعدُ؟

تأخر عنده وأزعج الطبيبَ واطلب منه، وأجلب دموع التوبة وبلل عتبة بيته.
كثِّرِ الطلبَ فلو لم يعطك من باب المحبة، فلن يقدر أن يرفض كل أسئلة اللجاجة.
كن لجوجًا على باب الطبيب وغير متوانٍ، فإن توانيت لن يضمدك، فلماذا تحضر إذا؟
الإلحاح يعرف أن يأخذ منه المؤمن المراحم، فلا يتركه يبتعد عنه إلا بعد أن يعطي.
أيها التائب كن لجوجًا، فتنال من واهب كل الخيرات بقدر ما تطلب.]

٨. بصليب المُخلّص تحوَّلت الجلجثة إلى جنة عدن الجديدة

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:** [ها أنك تسمع من (العهد) القديم: أن أربعة انهار تجري من ينبوع عدن المبارك. وتسمع أيضًا في(العهد) الجديد بأن الرسل هم مثلاً للأنهار الأربعة التي خرجت إلى الجهات الأربع وروتها.
عدن هي الجلجثة والمبشرون هم الأنهار الأربعة التي خرجت إلى الجهات الأربع وأبهجتها.]

٩. في جنة عدن لدغت الحيّة حواء وآدم، وعلى جبل الجلجثة قدَّم لنا المُخلّص الشفاء من لدغات الحيّة الخبيثة.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**
[هوذا شجرة الحياة – ربنا – يحمل ثماره المملوءة حياة لآكليها من مائدته.
يا من لُدغتم من قِبل الحيَّة التي قتلت آدمَ ادخلوا والتجئوا إلى شجرة الحياة ليشفيكم.
اشتلوا (اغرسوا) حياتكم على "الخدمة" المملوءة أسرارًا، لتعطوا ثمار المجد الحلوة لرب عدن.
تنبع الحياة من "خدمة" بيت الله، يا محبي الحياة لا تنحرموا من فائدتها.]

١٠. نتعرض في هذا العالم لرياح متنوعة تحطّم النفس، أما في بيت الربّ فندخل إلى التأملات الإلهية والترنم بالألحان السماوية.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**
[نفس الإنسان هي قابلة للانفعالات، وبقدر ما تفكر في العالم تصطبغ به لتصير منه.
حيثما تسمع رثاء النادبات تغلي بالألم لتفيض الدموع على الموتى.
ولو تسمع أيضًا الغناء ولعب المسارح، تمايلت لتسكب الضحك ببهجةٍ وبصوتٍ عالٍ.
حيثما تسمع أخبارًا سيئة يحل فيها الرعب، ولو تسمع كلمة حسنة تبتهج.
وكل الرياح التي تهب عليها توقظها، وتلتفت إلى كل الجهات مع كل الأوقات.
عندما تسمع صوت "خدمة" بيت الله تتحرك روحيًا بمحبة إلى الله.
وكأنها تحتقر العالم الشرير وقضاياه، وتدخل وتختلط بهذه التأملات الإلهية.
وتتبع وتحب تلك العِشرة الروحية، وترذل العالم وقضاياه وفاعلياته.

وترضى بألحان القداسة، وتلقي عنها كل الأفكار الجسدية.
ترذل النفس محبة العالم وشهواته وأفكار الدنس والضعف.
وكلما سمعت هذه الألحان التي تُرتل لها، تصبح عفيفة ومحتشمة ومملوءة رجاءً وتمييزًا.
لهذا يجب على من يدخل ليستودع نفسه بالصلوات أن يطيل (المكوث) في بيت الله.]

١١. في سرّ الإفخارستيا تمارس الكنيسة دورها كمعلمة تتحدى ظلمة الموت.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[الكنيسة هي مثل المُعلِّمة في العالم، وهي تُعلّم وتُحكِّم وتُضمد جروح جميع من يأتون إليها.
من تعليمها تستنير النفس بالتوبة حتى تتغلب على ظلمة الموت لما تصادفها.
هلموا وادخلوا أيها الصبيان الذين تدنستم بالشهوات، وطهروا حياتكم بتعليم بنت النيرات.]

١٢. بالشركة في القداس الإلهي تتمتع بالكنيسة بيتك، فلا تشعر بالغربة فيها.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[لا تسرعوا وتتركوا الوليمة التي صنعتها العروس للعالم كله لكي يتنعم بها.
لا تخرج عندما يُقدس بيت الغفران، إنك ابن البيت ولستَ غريبًا حتى تترك (الوليمة).
عندما تسمع (عبارة): من لم يأخذ العلامة ليذهب، أنت لا تذهب لأنك مرسوم العلامة وقريب.
أمكث مع أهل البيت أثناء هذه الأسرار، ولا تنتقل وتخرج لتصير مع البرانيين.
أنت مرسوم بالعلامة ومطبوع بالطبع ومكتوب في الإخوة، لماذا تخرج مع غير المرسومين مثل ناقصٍ؟
عندما يقدس الكاهن يُطرد من ليس مُعمَّدًا، لا يخرجك أنت، لأنك معمد باللاهوت.
علامة الملك هي المعمودية بنت النيّرات، وأنت لابس العلامة العظمى، لماذا تخرج؟
رسموك بالمسحة، ووجهك مرسوم بصليب النور، ويقولون: ليذهب، لمن ليس مرسومًا كما أنت مرسوم.
علامة الحياة جعلتك أخًا للوحيد وابنًا لأبيه، فأنت في البيت فلا تخرج.
امكث داخل الباب وادع الآب: أبانا، وبما أنك ابن فأنت صاحب سلطان لتدعو: أبانا.]

١٣. يستطيع المؤمن المعتمد أن يختبر أبوة الله، ويتذوق البنوة لله.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[لما يُقدس يُخرِجون من ليس مُعمَّدًا، لأنه لا يجوز له أن يدعو (الآب) السماوي: أبانا.
من ليس مُعمَّدًا لا يُحصى عدده في البنين، ولو دعا الآبَ: أبانا، فهذا كذب.
ولهذا يقولون: من لم يأخذ العلامة ليذهب، لئلا يُنطق الكذب بين الصادقين.

يُخرجونه إلى الخارج لو لم يكن مولودًا ولادة ثانية، لئلا يتجاسر ويدعو: أبانا، مع الكثيرين.
ولئلا يُستعمل صوت مملوء كذبًا في الجمع الطاهر الذي يُزمر الحقائق كل يومٍ.
ولهذا عندما يُخرِجون غير المُعمَّد، ادخل أنت إلى الداخل، لأنه يسهل عليك أن تدعو: أبانا.
أنت مولود ولادة ثانية روحية، ويجمل بك أن تدعو: أبانا، فامكث وادعُ: (أبانا).]

١٤. إذ يرتفع قلبك أثناء القداس الإلهي، تدرك نزول العريس السماوي ليمكث مع خطيبته.

١٥. يليق بكل الشعب أن يشترك في القداس الإلهي.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[مع الكاهن كل الجمع يتوسل إلى الآب ليرسل ابنه وينزل ويحلّ على القربان.
والروح القدس يُنزِل قوته في الخبز والخمر ويقدسه ويجعله أيضًا جسدًا ودمًا.
وكل من هو موجود في البيت يتحرك ليدعو: أبانا، ويقدسه الأبناء الجدد ويباركونه.
وبرفرفته يخلطهم بقداسة، فيصيرون معه واحدًا سريًا كما هو مكتوب.]

١٦. من يخرج من القداس الإلهي يحرم نفسه من انطلاق قلبه نحو السماء، وانطلاقه من مجدٍ إلى مجدٍ.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[ومن خرج مع "السامعين" ماذا يفعل عندما يفتشون عليه في البيت وإذا به ليس موجودًا حتى يدعو أبانا؟

هو حرم نفسه ولم يحرمه أحد من الرفرفة (الانطلاق إلى فوق)، وماذا وجد بين الأسواق حيث يتيه هناك؟

ارذلوا الأعمال واحتقروا الأرباح غير الثابتة، وامكثوا في بيت الله وقت الأسرار.
عدوكم مستيقظ ومتعطش إلى سفك دمكم، ليحرمكم من الفوائد، كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
عندما تُقام هذه الأسرار المملوءة حياة، يُقدم كل أسباب الخسارة.
وبحيلته يُخرجك إلى الخارج في كل الفرص، لتصير بعيدا عن ذلك الجمع الذي يهتف: قدوس.
الشيطان متضايق من ألحان القداسة، ولو استطاع لأخرج كل العالم إلى الخارج.
ولما ظَل أحد في البيت المقدس ليدعو: أبانا، لئلا يجد التائبون الحنان والمراحم.]

كيف يقدم لنا القديس كيرلس الكبير تأسيس سرّ الإفخارستيا؟

❖ يعطي الله الآب الحياة لكل الأشياء بالابن في الروح القدس؛ وكل ما يوجد ويتنفس في السماء وعلى الأرض، إنما **يأخذ وجوده وحياته من الله الآب بالابن في الروح القدس**. لذلك ليست طبيعة الملائكة ولا أي شيء آخر مهما كان، ممّا هو مخلوق، ولا أي شيء جاء من عدم الموجود إلى الوجود، له حياة (في ذاته) كثمرة لطبيعته الخاصة؛ بينما على العكس، فالحياة تنشأ من الجوهر الذي يفوق الكلّ، وهو أمر خاص به وحده أن تكون له القدرة على إعطاء حياة، وذلك بسبب أنه هو بالطبيعة الحياة.

إذن، فكيف يمكن للإنسان الذي على الأرض والملتحف بالموت أن يعود إلى عدم الفساد (أو عدم الفناء)؟ أجيب بأنه يلزم لهذا الجسد المائت أن يصيّر شريكًا للقوة المُحيية التي تأتي من الله. قوة الله الآب المُحيية هي الكلمة الوحيد الجنس (١ كو ١: ٢٤)، وهو الذي أرسله لنا (الآب) كمخلصٍ ومحررٍ. أما كيف أرسله لنا، فهذا ما يخبرنا به بوضوح يوحنا الإنجيلي المبارك عندما يقول: "والكلمة صار جسدًا وحل فينا" (يو ١:١٤). صار جسدًا دون أن يخضع لأي تغيّر أو تحوّلٍ إلى ما لم يكون عليه، ودون أن يتوقف عن أن يكون هو الكلمة. لأنه لا يعرف ما معنى أن يعاني ظل تغيير، بل بالحرى بكونه وُلِدَ بالجسد من امرأة وأخذ لنفسه ذلك الجسد منها، لكيما إذ قد غرس نفسه فينا باتحاد لا يقبل الانفصال، يمكنه أن يرفعنا فوق سلطان الموت والانحلال كليهما معًا. وبولس هو الشاهد لنا، حيث يقول عنه وعنا: "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكى يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويُعتق أولئك الذي خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية، لأنه حقًا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم، من ثمّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء، أي يشبهنا (عب ٢: ١٤-١٧). لأنه صار مثلنا، وكسى ذاته بجسدنا، لكيما بإقامته إياه (الجسد) من الموت، يعد – من الآن فصاعدًا – طريقًا يمكن به للجسد الذي وُضع (أُذل) حتى الموت، أن يعود من جديد إلى عدم الفساد (عدم الفناء). لأننا متحدون به مثلما كنا أيضًا متحدين بآدم، عندما جلب على نفسه عقوبة الموت. وبولس يشهد لهذا، إذ كتب هكذا في أحد المرات: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات" (١ كو ١٥:٢١) ويقول أيضًا: "لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع" (١كو١٥:٢٢). لذلك فإن الكلمة، إذ وحَّد مع ذاته ذلك الجسد الذي كان خاضعًا للموت، فلكونه الله والحياة، فقد طرد منه الفساد (الانحلال)، وجعله أيضًا يصير مصدر الحياة؛ لأنه هكذا ينبغي أن يكون جسد ذاك الذي هو الحياة.

ولا تكونوا غير مصدقين لما قلته، بل بالحرى اقبلوا الكلمة بإيمان بعد أن جمعتُ براهين من أمثلةٍ قليلةٍ. عندما تطرحون قطعة خبز في خمر أو زيت أو أي سائل آخر، فستجدون أنها صارت تحمل خاصية ذلك السائل الخاص، وعندما يوضع الحديد في النار، فإنه يصير ممتلئًا بكل فاعليتها؛ وبينما هو بالطبيعة حديد، لكنه يعمل بقوة النار. وهكذا كلمة الله المحيي، إذ قد وحَّد نفسه بجسده الخاص بطريقة معروفة لديه (فقط)، فقد منحه قوة إعطاء الحياة. وهو نفسه يؤكد لنا هذا بقوله: "الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية، أنا هو خبز الحياة" (يو ٦:٤٧-٤٨) وأيضًا: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطى هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم. الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكلٌ حقٌ، ودمي مشربٌ حقٌ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي" (يو ٦: ٥١، ٥٣، ٥٧). لذلك عندما نأكل الجسد المقدس الذي للمسيح مخلصنا جميعًا، ونشرب دمه الثمين، تكون لنا حياة فينا، بكوننا جُعلنا واحدًا معه، كائنين فيه ومُقتنين له أيضًا فينا.

لا تدعو أحدًا من أولئك الذين اعتادوا عدم التصديق أن يقول: "إذن، حيث إن كلمة الله لكونه بالطبيعة الحياة، وهو يقيم أيضًا فينا، فهل جسد كل واحدٍ منّا سيُمنح أيضًا القوة لإعطاء الحياة؟ من يقول ذلك فليعلم بالأحرى أنه شيء مختلف تمامًا، بين أن يكون الابن فينا بمشاركة نسبية، وبين أن يصير هو نفسه جسدًا؛ أي أن يجعل ذلك الجسد الذي أُخذ من العذراء القديسة خاصًا له (أي يجعله جسده الخاص). لأنه لا يُقال عنه إنه صار متجسدًا، أو صار جسدًا، بوجوده فينا، بل بالحرى فإن هذا حدث مرة واحدة عندما صار إنسانًا دون أن يتوقف عن أن يكون إلهًا. لذلك فإن جسد الكلمة كان هو ذاك الذي اتخذه لنفسه من العذراء القديسة وجعله واحدًا معه؛ أما كيف أو بأية طريقة حدث هذا، فهو أمر آخر لا يمكننا أن نخبر به، لأنه أمر غير قابل للشرح ويفوق تمامًا قدرات العقل، وكيفية هذا الاتحاد معروفة له وحده فقط.

لذلك، كان يليق به أن يكون فينا إلهيًا بالروح القدس، وكذلك أيضًا – إن جاز القول – يمتزج بأجسادنا بواسطة جسده المقدس ودمه الثمين، اللذين نقتنيهما أيضًا كإفخارستيا مُعطية للحياة في هيئة الخبز والخمر، إذ، لئلا نرتعب برؤيتنا جسدًا ودمًا (بصورة حسية) فعلية، موضوعين على الموائد المقدسة في كنائسنا، فإن الله إذ وضع (أنزل) ذاته إلى مستوى ضعفاتنا، فإنه يسكب في الأشياء الموضوعة أمامنا قوة الحياة، ويحوّلها إلى فاعلية جسده، لكيما نأخذها لشركة مُعطية للحياة، وكى يوجد فينا جسد (ذاك الذي هو) الحياة، كبذرة تنتج حياة. ولا تشك في أن هذا حقيقي، حيث إنه هو نفسه قال بوضوح: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي"، بل بالحرى اقبل كلمة المخلص بإيمان،

لأنه هو لكونه الحق، فلا يمكنه أن يكذب. وهكذا سوف تكرِّمه، لأنه كما يقول يوحنا الحكيم جدًا: "من قِبل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله" (يو ٣: ٣، ٣٣). لأن كلام الله هو طبعًا صادق ولا يمكن أبدًا أن يكون كاذبًا؛ لأنه وإن كنا لا نفهم بأية طريقة يعمل الله مثل هذه الأعمال، لكن هو نفسه يعرف طريقة (عمل) أعماله. لأنه عندما لم يفهم نيقوديموس كلمات الرب المختصة بالمعمودية المقدسة، وقال بجهل: "كيف يمكن أن يكون هذا؟" (يو ٣: ٩)، فإنه سمع المسيح يجيب قائلاً: "الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا، إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟ " (يو ٣: ١١-١٢) لأنه كيف يمكن لإنسانٍ أن يعرف تلك الأشياء التي تعلو على قدرات إدراكنا وعقلنا؟ لذلك، فلنكرّم سرّنا الإلهي هذا، بالإيمان... (ممجدين المخلص) الذي به ومعه يليق لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين[١].

البابا كيرلس الكبير

[١] راجع تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عظة ١٤٢، ٢٠٠٧.

ما هي فاعلية التناول من جسد الربّ ودمه؟

بالتناول من جسد الربّ ودمه يلتصق المؤمن بالسيد المسيح ويثبت فيه، وبه يصير شريكًا في الحياة الأبدية. يقول السيد المسيح: "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو ٦: ٥٣-٥٦).

ما هي مشاعرنا ونحن نشترك في القداس الإلهي؟

أ. نطلب أن يهبنا الربّ المخافة الإلهيةّ، فندرك أننا في السماء أمام عرش الله المهوب.

ب. أثناء القراءات الكنسية نحسب أنفسنا أننا في وسط الجموع حيث يتكلم السيد المسيح نفسه معنا.

ج. في اختيار الحمل نتطلع إلى الثالوث القدوس، الآب أرسل ابنه إلينا، والابن يُسرّ أن يقدم نفسه ذبيحة لأجل خلاصنا، والروح القدس يود أن يقودنا في المسيح يسوع ويرفعنا كما إلى السماء.

د. في صلوات التقديس نحسب أنفسنا في العلية حيث كان السيد المسيح يقدس، ويهبنا جسده ودمه.

هـ. في أثناء التوزيع نشعر أن يد المسيح تمتد لتهبنا جسده ودمه.

و. بعد التناول نحسب أننا أمام عرش الله نسبحه ونمجده مع الطغمات السماوية.

ز. عند الانصراف ننشغل بالحديث مع المخلّص الذي يقيمنا معه، ونود الالتصاق به كما اشتهت مريم المجدلية عندما تحدث معها واكتشفت أنه ليس البستاني كما كانت تظن بل هو الربّ.

ح.

ما هي فاعلية هذه الوليمة في حياة من يتناول منها؟

أولاً: الانفتاح على البشرية. إذ يتمتع المؤمن بهذه الوليمة يشتاق بدوره أن يدعو الشعوب إليها. يقول **مار يعقوب السروجي:** [خرجت (عروس الملك) إلى طرقات العالم لتجمع جميع الشعوب لتسعدهم... قامت في رؤوس الأسواق وزوايا الأرض لتدعو إليها المحافل والجموع إلى الوليمة[١].]

كما يقول: [من كان يقدر أن يذبح الابن قدام أبيه، لو لم يذبح هو نفسه بيديه قبل الآمه؟ ربنا هو الحبر الأعظم، والذبيحة الكاملة، ولهذا قدَّم نفسه ذبيحة قدام أبيه... إنه ميت بالجسد، وإذ هو ميت كان حيًا بلاهوته، وهو الكاهن والمحرقة وبحثه يفوق المجادلين. عرّفهم كيف يشربون كأس دمه، **ويسقون منه الشعوب والعالم والبلدان**... ختم بدمه العهد الجديد الذي صنعه ليكون لغفران الذنوب للعالم بأسره[٢].]

---

[١] ميمر ٩٥ على تناول الأسرار المقدسة ٢١٩.

[٢] الميمر ٥٣ ب على الصلب، الفصل ب: لليل الثلاثاء؛ الميمر ٥٢، على آلام مخلصنا وصلبه ودفنه وقيامته، قبطي.

ثانيًا: الاهتمام بالفقراء. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [كثيرون يقتربون مع الفقراء إلى هذه المائدة المقدسة، ولكن عندما نخرج نبدو كأننا لم ننظرهم، بل نكون سكرى ونحتقر الفقراء، الأمور التي أُتهم بها أهل كورنثوس[1].]

ثالثًا: السلوك بروح الوحدة والحب. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم: [**ماذا يصير إليه الذين يشتركون فيه؟ جسد المسيح، وليس أجسادًا كثيرة، بل جسد واحد (أف ٥: ٣٠). فكما أن الخبز يتكون من قمح كثير ويصير واحدًا، فلا يعود يظهر القمح وإن كان بالحق موجودًا، لكن لا يظهر الاختلاف بسبب الاتحاد معا، هكذا نحن نرتبط معًا الواحد مع الآخر ومع المسيح... لذلك يقول: "لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (١ كو ١٠: ١٧)... فلماذا لا نُظهر ذات الحب ونصير بهذا واحدًا؟[2]]

يقول **القديس أغسطينوس:** [بالخبز تتعلمون كيف يجب أن تعتزّوا بالوحدة. هل هذا الخبز مصنوع من القمح؟ أليس كذلك؟ بالأحرى من قمح كثير؟ على أي الأحوال، قبل أن يصير خبزًا كان هذا القمح مبعثرًا. لقد انضم إلى بعضه البعض في الماء بعد أن طُحن. فإنه ما لم يُطحن القمح ويُعجن بالماء لن يصل إلى ذاك الشكل الذي يُدعى خبزًا. هكذا أنتم أيضًا كنتم قبلاً تُطحنون كما بمذلة أصوامكم وسرّ جحد الشيطان. عندئذ جئتم إلى معمودية الماء. لقد عجنتم حتى تبلغون شكل الخبز. ولكن بدون النار لن يوجد خبز[3].]

رابعًا: عدم الاشتراك في موائد الأشرار. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لا تجري نحو الأمور المضادة. فإنك إن كنت ابن الملك ولك حق الاشتراك في مائدة أبيك... فهل تتركها وتختار مائدة المُدانين؟... بكل غيرة يسحبك ليس لكيلا تؤذيك مائدتهم، وإنما لأن في هذا يعيب مائدتك الملوكية المكرمة[4].]

خامسًا: السلوك بروح القوة. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [ليتنا نعود من تلك المائدة كأسود تتنفس نارًا ترعب الشيطان، مفكرين في رأسنا وفي حبه الذي أظهره لنا... (يقول الرب) أردتُ أن أصير أخاكم، ومن أجلكم شاركتكم في اللحم والدم، وأعود فأعطيكم الجسد والدم لكي بذلك أصير قريبكم. هذا الدم يجعل صورة ملكنا متجددة فينا، تبعث جمالاً لا يُنطق به، ولا تدع سمو نفوسنا أن يُنزع منا، بل ترويه دائمًا وتنعشه... هذا الدم السري إن تناولناه بحق يطرد الشياطين، ويجعلهم بعيدين عنا، بينما يدعو الملائكة ورب الملائكة إلينا. فحالما يرون دم الرب تهرب الشياطين وتركض الملائكة معا... سُفك هذا الدم وجعل السماء سهلة المنال[5].]

يقول **الشهيد كبريانوس:** [الإفخارستيا هي حصن لمن يتناولها. إننا في احتياج إليها لكي نتسلح

---

[1] *In 1 Corinth., hom. 27:7.*
[2] *In 1 Corinth. hom. 24:4.*
[3] *Sermon 227 FC 38:107.*
[4] *In 1 Corinth., hom. 24:5.*
[5] *Homilies on St. John, Hom. 46:3.*

بحماية فيض الرب، الأمر الذي نرغب فيه ليجعلنا في أمان من الخصم.]

ويقول **القديس أفرآم السرياني:** [لم يستطع الملاك أن يلمس الجمرة النارية بأصابعه، إنما أحضرها قريبًا من فم إشعياء. لم يمسكها الملاك، ولم يلتهمها إشعياء، أما ربنا فسمح لنا أن نفعل هذا وذاك.]

سادسًا: صدور أنهار مياه حية. يقول الذهبي الفم: [بالحق مهوبة هي أسرار الكنيسة، مهوب بالحق هو المذبح. يصعد ينبوع من الفردوس... من هذه المائدة يصدر ينبوع يبعث أنهارًا روحية[1].]

سابعًا: احتضان مخلصنا. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لكي يتناولوه أيضًا، ويحتضنوه في كمال قلوبهم[2].]

ثامنًا: بلوغ ملكوت السماء. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [يكون للذين يشتركون في (جسد الرب ودمه) رزانة النفس، وغفران الخطايا، وشركة الروح، وبلوغ ملكوت السماء، والدالة لديه، وليس للحكم والدينونة[3].]

تاسعًا: الشركة في التسبيح مع السمائيين. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [كأن الإنسان قد أُخذ إلى السماء عينها، يقف بجوار عرش المجد، يطير مع السيرافيم، ويترنم بالتسبحة المقدسة[4].]

عاشرًا: تحويل القلب إلى بيت لحم. يقول **القديس أمبروسيوس:** [كل نفسٍ تتقبل الخبز النازل من السماء هي بيت الخبز، خبز المسيح، إذ تقتات ويتقوى قلبها بمؤنه الخبز السماوي الساكن فيها. لهذا يقول بولس: "**نحن خبز واحد**". كل نفسٍ أمينة هي بيت لحم، كما أنها تُدعى أورشليم، إذ يحل بها سلام أورشليم العليا وهدوءها التي هي السماء. هذا هو الخبز الحقيقي الذي بعد أن يُكسر إلى قطع يشبع كل البشرية[5].]

حادي عشر: تحدي الفساد والموت. يقول **القديس كيرلس الكبير:** [أشبع طعام المن حاجة الجسد زمانًا يسيرًا جدًا، أبعد ألم الجوع، لكنه صار بعدها بلا قوة، ولم يهب الذين أكلوه حياة أبدية. إذن لم يكن ذاك هو الطعام الحقيقي والخبز النازل من السماء. أما الجسد المقدس الذي للمسيح الذي يقوت إلى حياة الخلود والحياة الأبدية فهو بالحقيقة الطعام الحقيقي. لقد شربوا ماءً من صخرة أيضًا... وما المنفعة التي عادت على الذين شربوا لأنهم قد ماتوا (١ كو ١٠: ٣-٦). لم يكن ذاك الشراب أيضًا شرابًا حقيقيًا، بل الشراب الحق في الواقع هو دم المسيح الثمين، الذي يستأصل الفساد كله من جذوره، ويزيح الموت الذي سكن في جسم الإنسان.]

يُعلّق **القدّيس كيرلّس الكبير** على العشاء الأخير، قائلاً: [بأيَّة وسيلة يمكن للإنسان الذي على الأرض وقد اِلتحف بالمائت أن يعود إلى عدم الفساد؟ أجيب أن هذا الجسد المائت يجب أن يشترك في

---

[1] *Homilies on St. John, Hom. 46:4.*

[2] *In Loan hom 46.*

[3] *The Liturgy of St. John Chrysostom, prayer offer the Epiclesis.*

[4] للمؤلف: المسيح في سفر الإفخارستيا، ١٩٧٣، ص ٤٤١.

[5] *Letter to Priests, 45, FC 26:263.*

قوّة واهب الحياة النازلة من الله. أمّا قوّة واهب الحياة التي لله الآب فهي الابن الوحيد الكلمة، الذي أرسله إلينا مخلّصًا وفاديًا. كيف أرسله إلينا؟ يخبرّنا يوحنا الإنجيلي بكل وضوح: "والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا" (يو ١: ١٤)... عندما نأكل جسد المسيح المقدّس، مخلّصنا جميعًا، ونشرب دمه الكريم ننال الحياة فينا، إذ نكون كما لو أننا واحد معه، نسكن فيه وهو يملك أيضًا فينا... لا تشك فإن هذا حق مادام يقول بنفسه بوضوح: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي" (مت ٢٦: ٢٦، ٢٨)، بل تقبل كلمة المخلّص بإيمان، إذ هو الحق الذي لا يقدر أن يكذب[1].]

كتب في إحدى رسائله إلى نسطور: [لكي نعلن موت ابن الله الوحيد الجنس حسب الجسد الذي هو يسوع المسيح ونعترف بقيامته من الموت وصعوده إلى السماوات نقوم بالاحتفال بالذبيحة غير الدموية في كنائسنا. وبهذا نقترب من بركات روحانية مسيحية بل ونتطهر بالاشتراك في الجسد المقدس والدم الكريم اللذين للمسيح مخلصنا جميعًا. نحن نتناوله ليس مثل أي جسد (لأن الله يحرم مثل هذا) ولا مثل جسد إنسان مقدس يصاحب الكلمة (اللوغوس) ... لكنه جسد حقيقي للكلمة نفسه وبالحقيقة هو يعطي حياة.]

يقول **القديس إكليمنضس السكندري:** [يقول "كلوا هذا هو جسدي، هذا هو دمي" (مت ٢٦: ٢٦، ٢٨). مثل هذا الطعام لائق، قد هيّأه الرب، مقدّما جسده وباذلاً دمه، فلا حاجة للأبناء بعد إلى شيءٍ لنموّهم، يا له من سرّ مدهش! إنّنا نتمتّع به لينزع الفساد الجسدي القديم، ولنأخذه عوض الطعام القديم. نتقبّله هو ما أمكن؛ نخفيه في داخلنا؛ وإذ ندّخر المخلّص في نفوسنا تتهذّب عواطف جسدنا[2].]

ثاني عشر: نعيش لذاك الذي مات لأجلنا وقام. يقول **القديس باسيليوس الكبير:** [تعلم إذن كيف يليق بك أن تتناول جسد المسيح، أي في ذكرى طاعته حتى الموت، حتى أن الذين يعيشون لا يعيشون بعد لأنفسهم، وإنما لذاك الذي مات لأجلهم وقام[3].]

ثالث عشر: الإعلان عن نفسه. يقول **القديس أغسطينوس:** [متى أعلن الرب عن نفسه؟ عند كسر الخبز (لو ٢٤: ٣٠-٣١)... لذلك عندما نكسر الخبز نتعرف على الرب، فهو لم يعلن عن نفسه إلا هنا على المائدة... لنا نحن الذين لم نستطع أن نراه في الجسد، ولكنه أعطانا جسده لنأكله. فإذا كنت تؤمن بهذا فتعال مهما كنت. وإذا كنت تثق فاطمئن عند كسر الخبز[4].] كما يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس:** [تُفتح أعين الذين يتقبلون الخبز المقدس لكي يعرفوا المسيح، لأن جسد الرب يحمل فيه قوته العظيمة غير المنطوق بها.]

---

[1] *In Luc. Ser 142.*
[2] *Paed 1:6.*
[3] *Catena Aurea.*
[4] *Ser. 235.*

رابع عشر: إدراك سرّ الفصح المسيحي. يقول **الأب ميليتو أسقف ساردس:** [يتحقق سرّ الفصح في جسد الرب، فقد اقتيد كحملٍ، وذبح كشاةٍ، مخلصًا إيانا من عبودية العالم ومحررنا من عبودية إبليس كما من فرعون، خاتمًا نفوسنا بروحه وأعضائنا الجسدية بدمه.]

خامس عشر: النمو الروحي المستمر. يقول **القديس كيرلس الكبير:** [اكتساب الحياة الروحية من خلال الإفخارستيا يتطلب اشتراكًا منتظمًا في السرّ. فالمؤمن يحتفظ بحياته الروحية، وينمو في الروح طالما استمر ارتباطه بالمسيح، ليس روحيًا فقط، ولكن أيضًا من خلال ممارسة عملية منتظمة للتناول من جسد المسيح ودمه، أما الاشتراك غير المنتظم في الإفخارستيا فقد يحرم المؤمن من الحياة الأبدية.]

هل يمكن التناول بدون توبة صادقة؟

يقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [لا يجوز لأي شخص وهو في الخطية (متهاونًا)... أن يشترك في الأسرار... فإن داود يقول في مزموره: "على الصفصاف في وسطها علقنا قيثاراتنا... كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟" (مز ١٣٧: ٢، ٤). إن كان الجسد لازال يقاوم الذهن، ولا يخضع لإرشاد الروح القدس، فإنه لازال في أرض غريبة، لم يخضع لكفاح المزارع، لهذا لن يحمل ثمار المحبة والاحتمال والسلام... فإذا كانت **التوبة غير عاملة فيك،** فخير لك ألاَّ تتقدم للأسرار، لئلا تحتاج إلى توبة عن هذه التوبة الغير عاملة، ولكنك محتاج إلى تلك الكلمات "انقضوا، انقضوا حتى الأساس منها" (مز ١٣٧: ٧). ويواسي داود هذه النفس البائسة قائلاً: "يا بنت بابل الشقية". قال إنها شقية لأنها بنت بابل، حيثُ رفضت بنوتها لأورشليم أي السماء (وتمسكت بالخطية بابل، أرض السبي). ومع ذلك فإنه يدعو لها بالشفاء، قائلاً: "طوبى لمن يكافئك مكافأتك التي جازيتنا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويدفنهم عند الصخرة" (مز ١٣٧: ٩)، أي يدفن أفكارها الفاسدة الدنسة المضادة للمسيح. فقد قيل لموسى: "اخلع نعليك من رجليك" (خر ٣: ٥). فكم بالأولى يلزمنا نحن أن نخلع من أرجلنا الروحية رباطات الجسد، وننظف خطواتنا من كل ارتباطات العالم؟!]

كيف نستعد للتناول من جسد الرب ودمه؟

بفحص ضمير الإنسان أمام الله وتطهيره بالتوبة. يقول الرسول: "إذًا أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الربّ بدون استحقاق يكون مجرمًا في جسد الربّ ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الربّ" (١ كو ١١: ٢٧-٢٩).

١. يتطلب جسد المسيح في الإفخارستيا نقاوة النفوس لا الثياب الفاخرة. يقول **القديس كيرلس**

الأورشليمي: [يجب أن تكون مكسوًا بثياب. بالطبع لا يعني هذا أنه يجب أن تلبس ثيابًا بيضاء، لكن يجب أن تكون مكسوًا بالثياب البيضاء اللامعة الروحية، حتى تقول مع المطوّب "فرحًا أفرح بالرب...، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البرّ" (إش ٦١: ١٠)[١].]

يقول **القديس إكليمنضس السكندري:** [لا يكون باستعدادات خارجية فحسب، وإنما بتهيئة النفس داخليا خلال ممارسة حياة الحب والطهارة الجسدية والقلبية، وأن يكون سلوكنا في حياتنا اليومية مطابقا لسلوكنا داخل الكنيسة. يليق بالرجال والنساء أن يذهبوا إلى الكنيسة في هدوءٍ ونظامٍ وسكونٍ، وتكون فيهم المحبة الصادقة... وان يكونوا أطهارًا بالجسد والقلب مؤهلين للصلاة لله.]

٢. غسل اليدين وتطهيرنا من كل عمل خاطئ. يقول **القديس كيرلس الأورشليمي:** [إنك ترى الشماس الذي يقدم ماءً للكاهن ليغتسل والكهنة الواقفين حول مذبح الله. أنه لا يعطيه الماء لأجل قذارة الجسد، لأننا لا ندخل الكنيسة بأجسام قذرة، لكن غسل اليدين يشير إلى ضرورة تطهيرنا من كل عملٍ خاطئٍ غير لائقٍ، لأن اليدين رمز الحركة، فبغسلهم يتضح أننا نقدم طهارة خلقتنا غير الملومة. ألم تسمع المطوّب يكشف هذا السرّ ويقول: "أغسل يديّ في النقاوة، فأطوف بمذبحك يا رب" (مز ٢٦: ٦)، إذ يرمز غسل الأيدي إلى الحصانة من الخطية[٢].]

٣. يرى **القدِّيس باسيليوس الكبير** أن السيد المسيح قدم لنا جسده ودمه المبذولين خلال طاعته لأبيه حتى الموت موت الصليب (في ٢: ٨). هكذا نحن نتأهل للتناول خلال **ميلنا للطاعة**[٣]. كما يقول: [سلوكنا نحن الذين نتناول جسد الرب ودمه يلزم أن يكون فيه تذكار طاعة الرب حتى الموت، حتى أن الذين يعيشون لا يحيون لأنفسهم، بل لذاك الذي مات عنهم وقام[٤].]

٤. أيضًا يقول: [من يشترك في الأسرار المقدسة يلزمه أن **يحمد الرب بالتسابيح**[٥].]

٥. يقول **القدِّيس باسيليوس:** [ليذكر من يتقدَّم إلى التناول موت المسيح وقيامته، ويذكر أنه يجب أن يتحلَّى بنقاوة الجسد والروح، وأن يُعبِّر عمليًا عن الموت عن الخطيئة والعالم والذات بحياته مع الله ومع المسيح ربنا[٦].]

٦. لا يمكننا قبول وليمة المسيا، التناول من جسد الرب ودمه، إن لم ننصت أولاً إلى ما تعنيه هذه الوليمة خلال فهمنا الكتاب المقدس. وإذ ننعم بالوليمة، نبقى أيضًا في عوزٍ إلى **سماع كلمة الله.**

٧. **لتكن قلوبنا عُلية مرتفعة ومتسعة.** يقول **العلامة أوريجينوس:** [لنصعد مع الرب، متحدين معه، إلى العُليّة... لتكن عُليّة بيوتنا متّسعة لتستقبل في داخلها يسوع كلمة الله، الذي لا يُدرَك إلا بواسطة من

---

[١] مقال ٢٢: ٨.

[٢] مقال ٢٣: ٢.

[3] *Regulae brevius tractatae, 172.*

[4] *Morals Rule 21:3.*

[5] *The Morals Rule, 21.*

[6] *On Baptism.*

لهم الفهم العظيم... لتُعد هذه العُليّة بواسطة صاحب البيت الصالح ليأتي فيها ابن الله فيجدها مغسولة ونقية من كل خبث.] كما يقول: [يلزمنا أن ندرك أنه لا يرتفع أحد إلى العُليّة ممن يهتم بالولائم والاهتمامات الزمنية، ولا يكون له مع يسوع نصيب في حفظ الفصح[1].]

المصادر

١. ميمر ٩٥ على تناول الأسرار المقدسة (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).
٢. ملاطيوس برنابا، قصيدة لمار يعقوب السروجي الملفان في تناول الأسرار المقدسة، في المجلة البطريركية ٣٤ (١٩٨٥) ١٦٤–١٦٨، ٢١٤–٢١٩.
٣. تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عظة ١٤٢، ٢٠٠٧.
٤. الكاتب: كاتيكيزم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، جزء ٣ الكنيسة ملكوت الله على الأرض، ٢٠١٨، ١٩ سرّ الإفخارستيا، ص٢٣٤–٢٥٩.
5. Amir Harrak: Jacob of Sarug's Homily on the Partaking of the Holy Mysteries. 2009.

[1] *In Matt 26،18.*

المحتويات

خميس العهد والعروس المتهللة ٢

المؤمن والاحتفال بخميس العهد..... ٣

بركات سرّ الإفخارستيا ٥

١. تهليل الحكماء بالمعرفة الإلهية التي يختبرونها في سرّ الإفخارستيا..... ٥

٢. دعوة البشرية إلى وليمة العُرس في سرّ الإفخارستيا ٥

٣. تمتع العروس بالينبوع الفائض من جنب المُخلّص المصلوب..... ٥

٤. الكنيسة ميناء الراحة، فيها يستريح البشر. ٦

٥. هلم إلى الكنيسة المستشفى السماوي..... ٦

٦. الجنب المطعون وينابيع النبوة..... ٧

٧. سرّ الإفخارستيا مروج القوة! ٧

٨. بصليب المُخلّص تحوَّلت الجلجثة إلى جنة عدن الجديدة ١١

٩. في جنة عدن لدغت الحيّة حواء وآدم، وعلى جبل الجلجثة قدَّم لنا المُخلّص الشفاء من لدغات الحيّة الخبيثة.....١١

١٠. نتعرض في هذا العالم لرياح متنوعة تحطّم النفس، أما في بيت الربّ فندخل إلى التأملات الإلهية والترنم بالألحان السماوية. ١١

١١. في سرّ الإفخارستيا تمارس الكنيسة دورها كمعلمة تتحدى ظلمة الموت. ١٢

١٢. بالشركة في القداس الإلهي تتمتع بالكنيسة بيتك، فلا تشعر بالغربة فيها. ١٢

١٣. يستطيع المؤمن المعتمد أن يختبر أبوة الله، ويتذوق البنوة لله. ١٢

١٤. إذ يرتفع قلبك أثناء القداس الإلهي، تدرك نزول العريس السماوي ليمكث مع خطيبته. ١٣

١٥. يليق بكل الشعب أن يشترك في القداس الإلهي.....١٣

١٦. من يخرج من القداس الإلهي يحرم نفسه من انطلاق قلبه نحو السماء، وانطلاقه من مجدٍ إلى مجدٍ. ١٣

كيف يقدم لنا القديس كيرلس الكبير تأسيس سرّ الإفخارستيا؟ ١٤

ما هي فاعلية التناول من جسد الربّ ودمه؟..... ١٧

ما هي مشاعرنا ونحن نشترك في القداس الإلهي؟ ١٧

ما هي فاعلية هذه الوليمة في حياة من يتناول منها؟ ١٧

هل يمكن التناول بدون توبة صادقة؟ ٢١

كيف نستعد للتناول من جسد الرب ودمه؟..... ٢١

المصادر ٢٣

المحتويات ٢٤

عدوكم مستيقظ ومتعطش إلى سفك دمكم،
ليحرمكم من الفوائد، كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

عندما تُقام هذه الأسرار المملوءة حياة،
يُقدِّم كل أسباب الخسارة.

وبحيلته يُخرجك إلى الخارج في كل الفرص،
لتصير بعيدا عن ذلك الجمع الذي يهتف: **قدوس**.

الشيطان متضايق من ألحان القداسة،
ولو استطاع لأخرج كل العالم إلى الخارج.

ولمَا ظَلّ أحد في البيت المقدس ليدعو: أبانا،
لئلا يجد التائبون الحنان والمراحم.

القديس مار يعقوب السروجي

KEROLLOUS MAGDY